مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

دراسة وصفية وتنميطية للمدافن الميغاليثية من نوع الدولمن بمنطقة وادي الشنيور

(عين العربي قالمة)

A descriptive and stereotypical study of the Meghalithian tombs of the Dolmen type in Wadi Al-Schnaour area(Ain Al-Arabi Guelma)

عادل وافية

باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث في علم الآثار.

ملخّص:

تبعد مقبرة وادي شنيور حوالي 3.5 كلم عن بلدية عين العربي (عبدي، غونود سابقا)، دائرة عين مخلوف و 34 كلم جنوب- جنوب /شرق قالمة، عاصمة الولاية. وهي واحدة من أكبر المقابر من هذا النوع في الجزائر وحتى في شمال أفريقيا، لأنها تحتوي على أكثر من أربعة آلاف من المعالم الجنائزية والتي تتألف أساسا من الدولمن التومولوس، البازيناس، السراديب وبعض الأنصاب الحجرية العمودية، على مساحة 10.25 كم 2. ومع ذلك فإنها لا تزال مجهولة حتى على المستوى المحلي، ولم تكن موضوع الحفريات الأثرية أو الدراسات،و من خلال هذا المقال أود أن أعرض هذه المقبرة الشاسعة غير المعروفة للقراء ألمهتمين و تقديم تصنيف الآلاف من الدولمينات التي تحتوي عليها، ورفع مشكلة التسلسل الزمني الخاص بهذه المعالم الميغاليثية في الجزائر، فضلا عن الحاجة إلى التنبيه بضرورة تركيز البحوث الأثرية في هذا المجال. ولكون نوع الدولمن الأكثر عددا في هذه المقبرة، اقتصرت عليه في هذه الدراسة،وبالإضافة إلى ذلك لا يمكن إدراج جميع البيانات والمعلومات المتعلقة بالمعالم الأخرى في مقال واحد.

Abstract :

The necropolis of Oued Chenior is about 3.5km to the S-S / E of Ain El Arbi commune (Abdi. Ex Gounod)، Daïra of Ain Mekhlouf، 34 km to the S / SE of Guelma، the capital of the wilaya. It is one of the largest necropolis of this kind in Algeria and even in North Africa، because it contains more than four thousand funerary monuments composed mainly of Dolmens، Tumulus، Bazinas، vaults and some menhirs، on a 10.25 km^2. However، it remains unknown even at the local level and has not been the subject of archaeological excavations or studies. Through this article، I would like to

present this vast yet unknown necropolis، to interested readers، to establish a typology of the thousands of dolmens it contains، and to raise the problem of the megalithic chronology in Algeria، as well as the need to focus the archaeological research in this area. Being the most numerous in the necropolis، I limited myself in this study to dolmens only; In addition I can’t insert all the data and information related to other monuments in one single article.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

قبل الخوض في الدراسة التنميطية لمدافن الدولمن بالمقبرة الميغاليثية لوادي الشنيور، أودّ شرح مصطلح كلمة "ميغاليثية"،حيث يتكون هذا المصطلح الإغريقي الأصل من شقين " ميغا" (Mégas) وتعني كبير، و"ليتوس"(Lithos) ومعناها حجر، وميغاليث معناها " الحجر الكبير "

ويقول توينبي في هذا الشأن: الميغاليث هي الحجارة الضخمة غير المشذبة...[1] ،واستعملت في بحثي كلمتي" ميغاليثية"و" الشبه ميغاليثية "لوصف المعالم الجنائزية، تجنبا مني لاستعمال عبارة المعالم الجنائزية "لفجر التاريخ" حيث اعتبر هذه التسمية خاطئة إذ لم تكن مقيدة بحفريات علمية يليها تأريخ دقيق يحدّد فعلا انتماء هذه المعالم لعصر فجر التاريخ.

تضم مجموعة المعالم الجنائزية الميغاليثية كل المدافن المكوّنة من الحجر الضخم، مثل الدولمن والسراديب والأنصاب الحجرية، وتضم مجموعة المعالم الجنائزية الشبه ميغاليثية المدافن المكونة من حجر كبير ومتوسط، وتضاف لها أحيانا الأتربة كما نجده في التلال والبازينا.

خلال زيارتي لموقع الشنيور، لفت انتباهي العدد الهائل للمعالم الجنائزية التي تحصى بالآلاف (أكثر من 4000 معلم) نجدها في عدّة أنواع، إذ يتربع نوع الدولمن المرتبة الأولى من حيث عدد المعالم، حيث تفوق نسبته 70% تقريبا من العدد الإجمالي للمدافن في المقبرة، تليه التلال ثم البازينا وأخيرا السراديب، مع الإشارة لوجود بعض الأنصاب الحجرية (Les Menhirs)، وقد أدرجت هذه المعالم في مجموعتين كبيرتين: المجموعة الأولى تتضمن المعالم الجنائزية الشبه ميغاليثية، والمجموعة الثانية تضم المعالم الجنائزية الميغاليثية،وارتأينا في هذا المقال التطرق حصريا للمعالم من نوع الدولمن وأنماطها في منطقة الشنيور، حيث يستحيل إدراج كل المعلومات الخاصة بدراستنا للمعالم الجنائزية لمقبرة شنيور في مقال واحد.

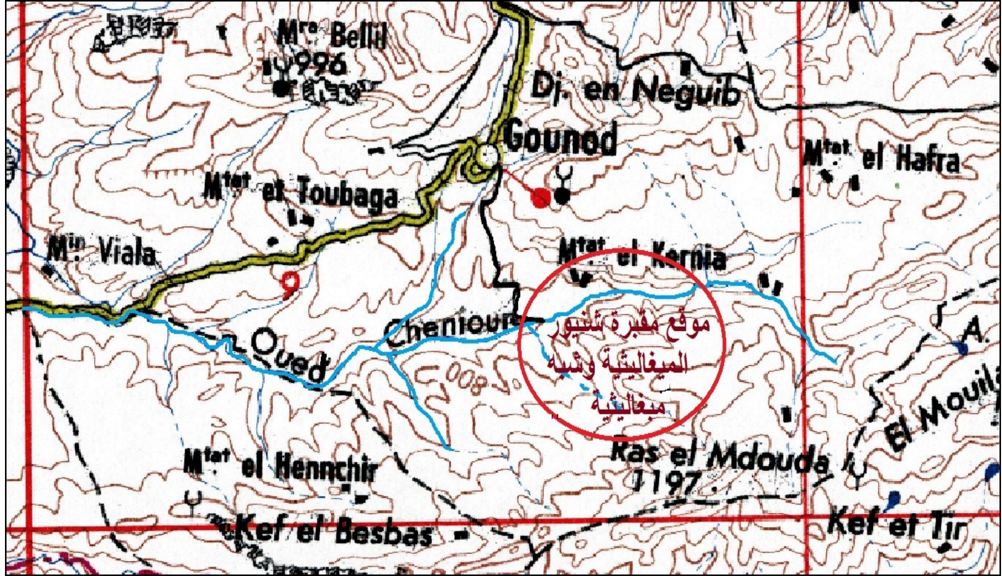
– تحديد الموق :

تنحصر مقبرة شنيور ما بين إحداثيات لمبير التالية:

922.500 - 925.300 شرقا و 339.400 - 336.000 شمالا. وهي موجودة على بعد 3 كلم تقريبا جنوب شرق مقر بلدية عين العربي (قونو Gounod سابقا)، بدائرة عين مخلوف بولاية قالمة، وتنتشر معالمها

1- توينبي أرنولد،1981، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الجزء الأول، ص 58.

على مساحة شاسعة تقدر بـ 10.25 كلم² فوق سلسلة من الجبال والهضاب والكديات ذات تكوينات جيرية تتخللها عدة شعاب تصب كلها في وادي شنيور الذي يجري من الشرق نحو الغرب، هذا الوادي يقسم المنطقة إلى قسمين:



خريطة تبين موقع مقبرة شنيور الميغاليثية والشبه ميغاليثية.[1]

القسم الشمالي (الضفة اليمنى للوادي) يشمل كل من مرتفعات رأس شنيور الذي يصل ارتفاعه (1035 م)، ولمكيمن (922م)، وجبل النقيب(948 م)، والجهة الجنوبية (الضفة اليسرى للوادي) فتشمل كل من مرتفعات حض البسباس (929 م) وظهر بية (1037م) والحيصوانة (1044م) والسطحة (1000م) والصواقع (1013 م) والقلعة (926م) .

1-Carte topographique 1/200.000, Annaba, F. NJ-32-II. Dressé en 1963.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267



صورة جوية لمنطقة شنيور. عن: Google earth.

ومن خلال زيارتنا الميدانية للموقع، ودراستنا للخريطة الطبوغرافية 1/200.000 الخاصة به، تبين لنا أنّ المنطقة صخرية جيرية ملتوية أفقية متراصة، معروفة في تكوينات الزمن الجيولوجي الرابع، إضافة إلى هضاب وكديات متوسطة الارتفاع. ومن الواضح أنّ نوعية هذه الصخور سهلت عملية قلع المادة الأولية لبناء المعالم المختلفة الانماط،

كما لاحظنا وجود ما يقارب 52 نقطة ماء (من ينابيع وعيون وأبار) في تلك الرقعة كونها تعرف تساقطا كبيرا للثلوج و الأمطار في فصل الشتاء.

من خلال هذه المعطيات يمكننا الاستنتاج بأنّ الموقع الجغرافي والطوبوغرافي والطبيعة الجيولوجية والشبكة الهيدروغرافية لمنطقة شنيور هي عناصر أساسية وايجابية ساهمت وسهلت التواجد والاستقرار البشري فيها منذ العصور الغابرة، وهذا ما تدل عليه المعالم الجنائزية لمقبرة الشنيور التي توجد خلف الحدود الغربية لقبيلة النوميداي Gens Numidarum[1]، التي كانت تحتفظ بكيانها حتى في عهد الإمبراطور نيرون داخل الحيز الجغرافي لقبائل

1-Camps (G.), 1961, Aux origines de la Berbèrie ;Rites et monuments funéraires de l'Afrique du Nord ;A.M.G ;Paris,p. 251.

الناتابوت Les Nattabutes وهذا اعتمادا على النقيشة اللاتينية المعثور عليها في أسوار القلعة البيزنطية في موقع قلعة بوعطفان (النقيشة رومانية أعيد استعمالها في العهد البيزنطي)[1]

1-المقبرة الميغاليثية والشبه ميغاليثية:

تحتل هذه المقبرة مساحة شاسعة تقدر بحوالي 10.25 كلم²، وهي تحتوي على معالم من نوع التلال والبازينا والمصاطب والسراديب والأنصاب الحجرية العمودية يفوق عددها4000 معلم قليل منها في حالة جيدة، ومعظمها في حالة متوسطة والكثير منها مهدمة.

تاريخ الأبحاث في مقبرة شنيور الميغاليثية.

تكتسي مقبرة شنيور أهمية بالغة من حيث عدد وتنوع معالمها الجنائزية التي تحصى وبدون مبالغة بالآلاف، ورغم هذه الأهمية تبقى غير معروفة حتى على المستوى المحلي، ولم تنل الشهرة التي تعرفها كلّ من مقابر الركنية وبونوارة وتيديس، سيقوس وسيلا...، وكلّ ما يعرف عن آثار منطقة شنيور بعين العربي هي البقايا الرومانية والبيزنطية التي يطلق عليها اسم " قلعة بوعطفان"، وحتى أغلب الدراسات والمقالات انصبت كلّها على الآثار الرومانية والبيزنطية، مهمشة العدد الهائل للمدافن التي تغزو المنطقة على مسافة تفوق 06 كلم، حيث اكتفى بعض الباحثين بالإشارة إليها في كتبهم تختصر فيما يلي:

يعد ديفينرال(De vigneral Ch.) من الأوائل الذّين زاروا المنطقة، واكتفى بالإشارة إلى وجود معالم جنائزية، لكن أخذت الآثار الرّومانية الحيز الأكبر في مقاله[2].

ويذكر روبو (Reboud V.)، بأنّ هناك عملية حفر غير علمية قام بها في بعض المعالم كارتيراد (Cartairade De.) بحثا عن الكنوز وأسفرت على استخراج قطع حديدية وجماجم وعظام بشرية وأواني تحتوي على عظام نصف محروقة، وهذا خلال سنة 1878[3] ، ويبدوا أنّ قزال (Gsell S..) قد زار هو أيضا الموقع، إذ أعطى وصفا

1-Gsell (S.),1922 ;Les inscriptions latines de l'Algérie N° 561,P.60.;Inscriptions de la Proconsulaire ;Paris.
2-De vigneral (Ch.) ; 1867, Ruines romaines de l'Algérie, cercle de Guelma, subdivision de Bone, Paris .P.223.
3-R**eboud (V.)** ; 1881, Nécropole mégalithique des sources de l'Oued Cheniour (Moulin dubourg), affluent de l'Oued Cherf ou Seybousse superieure, A.F.A.S. Alger; P. 27-28.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

وجيزا له بقوله أن قلعة بوعطفان تقع على وادي الشنيور،24 كلم جنوب قالمة، ويوجد بها أكبر عدد من المقابر المحلية لحد الآن، تحذوها آثار رومانية تعود للقرون الأولى للميلاد[1]. كما أشار موجال (Mougel Abbé) – الذي هو من الزوار الأوائل– أنّ الحجارة لموقع شنيور استعملت خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر في تهيئة طريق السكة الحديدية بين قالمة وسوق أهراس[2]كما نقلت بعض الآثار إلى متحف قالمة[3]، ولا نعلم إن كان يقصد هنا الآثار الرومانية لقلعة بوعطفان أو للمقبرة الميغاليثية.

تعريف المعالم الجنائزية الميغاليثية من نوع الدولمن :

يطلق عليها بعض السكان تسمية " قبور الجهالة " وتعرف قي البلدان الغربية باسم الدولمن (Dolmens)، وهي كلمة من أصل بروطوني وهي الشق الأول "دول"(Dol) معناها المائدة أو الطاولة و "مان" (Men) معناها صخر، أي المائدة الصخرية.

الدولمن هي معالم جنائزية صخرية على شكل غرفة جنائزية تتكون بصفة عامة من صخرتين أو أكثر (Orthostates) ودورها حمل وتلقي ثقل البلاطة أو البلاطات الأفقية التي تشكل سقف المائدة.

ينتشر هذا النّوع من المعالم بصفة واسعة في أوربا خاصة فرنسا وبريطانيا وايرلندا، وكذا في آسيا وفي شمال إفريقيا.

تنميط دولمن مقبرة شنيور :

تتوزع دولمن مقبرة شنيور على تضاريس ذات تكوينات جيرية سهّلت طبيعتها قص الموائد الضخمة والتفنن في استعمال الحجارة لبناء المعالم، وينتشر هذا النوع في كل أرجاء المقبرة بمختلف مرتفعاتها، ويحصى عددها بالآلاف وتتميز دولمن شنيور بضخامة حجمها إذا ما قورنت بالتي توجد في مقابر شمال إفريقيا المعروفة بصفة عامة بصغر حجمها، وتتسم موائد هذا النوع من المدافن في شنيور بسمكها وحجمها الكبيرين وتعدد أشكالها (مربعة، مستطيلة، شبه منحرفة)، ويتجاوز طولها أحيانا 05 أمتار في مرتفع الصواقع ومشتة رمضاني، كما نجد الغرف الجنائزية عميقة وكبيرة، ويتكون سياجها أو سياجاتها الحجرية من صخور ضخمة.

---

1 -Gsell (S.), 1901, Les monuments antiques de l'Algérie, T. I, pp. 33-34.
2-Mougel Abbé, 1881, 4 Km de promenade archéologique sur la rive droite de l'oued Melah, B.A.H, T.XIL, pp.45-50.
3-De Pachtere , (F.G.) ,1909, Musées et collection archéologique de l'Algérie et de la Tunisie, musée de Guelma , Paris , p. 39.

يصعب للزائر أحيانا فرزه، إن كان من النمّط الفردي أم الثنائي أم الثلاثي لكون الحجارة اختلطت فيه نوعا ما، والملاحظ أنّ العديد من المعالم تعرضت للتشقق والانكسار بفعل الزمن والعوامل الطبيعية والبشرية، وتتواجد في اتجاهات مختلفة، لكن معظمها تتجه شمال شرق/جنوب غرب S.W/N.E ولقد زار المقبرة كل من روبو(.Reboud Dr) عام 1881 وقزال في مطلع القرن العشرين، ويرى هذا الأخير أنّ مصاطب شنيور تعود للعهد الروماني ويوافقه كامبس[1] في هذا الرأي، هذا وفي ظل غياب حفريات في هذه المعالم تبقى هذه الفرضيات مجرد آراء أولية دون سند علمي دقيق. والجدير بالإشارة أنّ دولمن مقبرة شنيور بنيت بأشكال وأنماط مختلفة أهمها:



صورة تبين انتشار الدولمن في مقبرة شنيور

– دولمن خالية من السياج والمائدة :

هناك عدد قليل من الدولمن لا تحتوي على سياج حجري، حيث أنّ هذا الأخير يوجد بنسبة 99% حول الدولمن في شمال إفريقيا، فوجوده هو القاعدة وانعدامه يمكن اعتباره بمثابة الحالة الشاذة، ويتمركز هذا النمط في

1-Camps (G.), 1961 ;Op.cit, p. 156.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

مقبرة شنيور في مرتفعات ظهر بيّة، ويتراوح طول غرف هذه المصاطب ما بين 1.50 م و 2.20 م وعرضها ما بين 0.70م و1.20م.

ونجده بعدد قليل في مقبرة الركنية بضواحي قالمة، وفي موقع كدية بوالطيب وكركيرة بضواحي القل[1]، وفي مقبرة بني مسوس بالجزائر، ويرى الكثير من الباحثين أنّ هذا النمّط من الدولمن تعرض لسبب ما لنزع سياجه الحجري ومائدته كون الخاصّة التي تميز مصاطب شمال إفريقيا هي وجود السياج الحجري حولها[2]. وما يمكن تدعيم هذه الفكرة ما قاله آندري (André) حول هذا النمط في مقبرة بني مسوس، إذ يؤكد أنّها كانت تحتوي على سياج حجري تم إزالته مع الزمن[3].

غير أنه لدى زياراتي لمقبرة شنيور لم أرى أثرا للسياج ولا للمائدة الخاصة بهذا الصنف، وأتساءل عن السبب من وراء ذلك، هل هذه الدولمن بنيت على هذا الحال خالية من المائدة والسياج ؟ أم أنّها تعرضت لانكسار طبيعي أو بفعل العامل البشري؟



صورة لدولمن خالي من السياج و المائدة (القلعة)

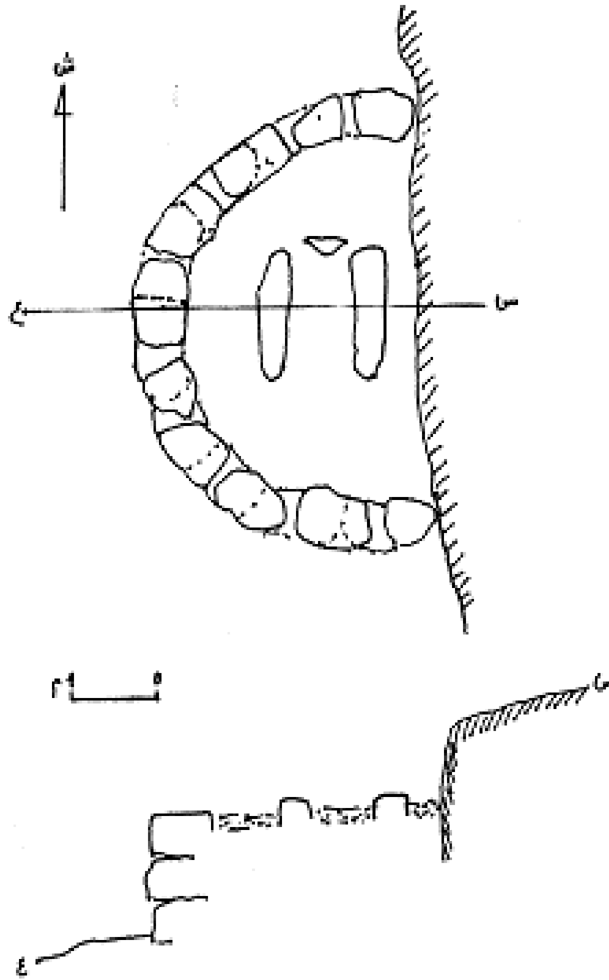
1-Mennetrier (Lt.), 1908, Notes sur des monuments mégalithiques de la province de Constantine, cong. Préhist. De France, IV e session, Chambéry, pp. 356-358.
2-Camps (G), 1961, Op.cit., p. 129.
3-André (Ph), 1861, Notice sur les monuments celtiques de la province d'Alger, Mémoire de la Société Archéologique, d'Lille et Vilaine.

صورة لدولمن خالي من السياج و المائدة (القلعة) ويرى روبو(Reboud Dr.) أنّ أجمل القبور هدمت من قبل الباحثين عن الكنوز[1]، وفيما يخص انعدام السياج فيرى بريارد (Briard J.) أنّ الدولمن الأوربية وجدت في البداية دون سياج يحيط بها[2]، وإذا سلمنا بهذا الرأي نستنتج أنّ هذا النمط أقدم نوع الدولمن في المقبرة، لكن لا يمكننا الجزم دون إجراء عدة حفريات علمية في هذا المجال وإخضاع كل اللقى المكتشفة فيها لتأريخ علمي.

– الدولمن ذات السيّاج النصف دائري:

يوجد هذا النمط في نموذج واحد وفريد في كل مقبرة شنيور، وتحديدا في المنحدرات الجنوبية لجبل النقيب، وكما تدل تسمية هذا النمط فهو عبارة عن دولمن مسند على جبهة جلموذية كانت تستعمل كمحجرة لقلع الحجارة، ويحاط هذا المعلم بسياج نصف دائري مشكل من 03 صفوف من الحجارة مستندة في طرفيها على الجبهة الجلموذية، ويظهر جليا في هذه الحالة أنّ الموقع الطوبوغرافي (المنحدر) هو من حتّم بناء نصف سياج وليس سياجا كاملا، ويبدوا أنّ هذا النمّط نادرا في المقابر الكبيرة المعروفة، حيث هناك بعض الأصناف القليلة التي تشبهه، مثل المصطبتين الموجودتين بمقبرة رأس العين بومرزوق، حيث يحتوي كل معلم منهما على سياج نصف دائري يحيط به سياج مربع، ويقدر طول الغرفة الجنائزية لمصطبة شنيور ذات السياج النصف دائري بـ 1.50 م وعرضها 0.70م، ويقدر نصف قطر هذا السياج بـ 2.50م

1-Reboud (V.), 1883, Op.cit, p. 125.
2-Briard (J,) 1959, l'Age de bronze, P.U.F, Paris, p. 32.



مخطط و مقطع لدولمن ذو سياج نصف دائري.

– الدولمن المندسة ذات سياج فريد:

وينتشر هذا النمط بصفة واسعة في كل أرجاء المقبرة، حيث يحيط بها سياج حجري دائري مكون من صخور ضخمة وغرفها مندسة في الأرض، حيث لا يبرز منها سوى المائدة وجزء بسيط من البلاطات أو الصخور العمادية التي تحمل ثقل المائدة، ويتكون الفضاء ما بين الحلقة الحجرية والغرفة من خليط من الحجارة والتربة، وهو ذو شكل مخروطي مسطح عموما، ويعتبر هذا النمّط من الأصناف الشاسعة في المقابر الميغاليثية في الجزائر مثل

مقابر جبلي البرمة والفرطاس ما بين قسنطينة وأم البواقي (مقابر سيقوس، سيلا، جبل المرّاح، بوشن، رأس العين بومرزوق.)[1]، ويوجد هذا النمط من المعالم على المرتفعات والمسطحات والمنحدرات البسيطة، وتم تشكيل السيّاج الحجري عن طريق غرس حجارة ضخمة ذات أشكال وأحجام متباينة الواحدة جنوب الأخرى مشكلة سيّاج حجري دائري حول القبر، ويتراوح قطر السيّاج في هذا النمط ما بين 4 م و10 أمتار، وفيما يخصّ اندساس هذه المصاطب يمكن أن يعتقد البعض أنّ تراكم الأتربة مع مرّ العصور أدّى إلى غمر دعامتها واندساسها. غير أنّ هذا الاعتقاد سرعان ما يزول لما نلاحظ وجود عدد كبير من الدولمن البارزة ذات السياج الدائري الفريد بمحاذاة النمط المندس.



صورة لدولمن مندس ذو سياج حجري دائري فريد

– الدولمن البارزة ذات السياج الدائري الفريد:

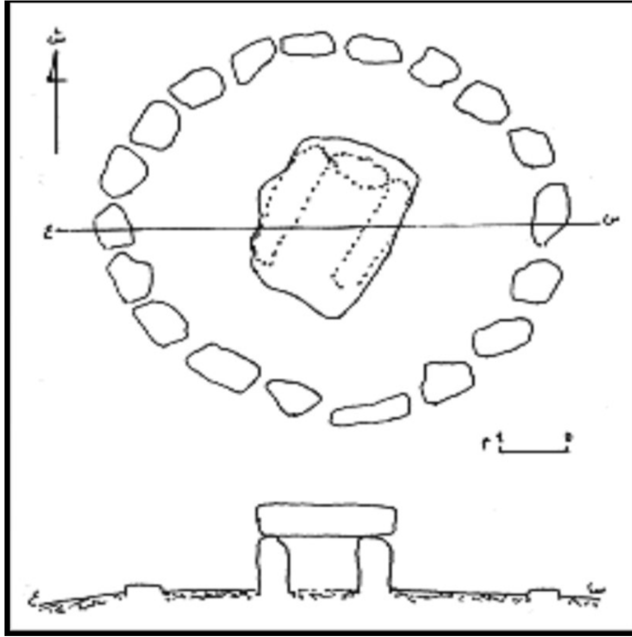
يتوزع هذا النمّط في كلّ أرجاء المقبرة خاصة الأماكن المسطّحة منها وقليلة الانحدار، وهو يشبه النمط السابق

1-زرارقة مراد، 2006،المعالم الجنائزية الميغاليثية لمنطقتي البرمة وجبل الفرطاس (جنوب قسنطينة)، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار،جامعة الجزائر، ص 47.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

من حيث السياج الحجري الدائري الفريد والفضاء الداخلي، إلاّ أنّ غرفته الجنائزية بارزة، وتعلوا سطح الأرض بكثير إذا ما قورنت بالنمط السابق، وهذا راجع إلى كِبر وعلو الركائز الجانبية والتي نجدها أقل علوا في المدافن المندسة، وينتشر هذا الصنف في كلّ المقابر الميغاليثية بالشرق الجزائري، مثل الركنية بضواحي قالمة، سيقوس بأم البواقي وبونوارة بقسنطينة....الخ

أمّا عن التوجيه الشّامل لهذه القبور في مقبرة شنيور فهو غير موحد ويختلف من مصطبة لأخرى عموما ويتراوح طول الغرفة الجنائزية لهذا النمّط ما بين 1.60م- 2.10م طولا و 0.70م-1.20م عرضا.



مخطط ومقطع لدولمن بارز ذات السياج الحجري الدائري الفريد.

– الدولمن ذات السياجين الدائريين المركزيين:

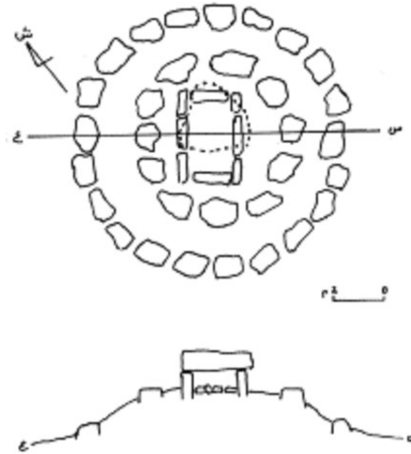
يتمركز هذا النمّط بأعداد قليلة في مقبرة شنيور وخوصا على قمم الهضاب، وكذا الأماكن المسطحة التي نجدها فوق الأذرع والقمم، وهي تتميز باحتوائها لسياجين حجريين دائريين مركزيين، يحيطان بالغرفة الجنائزية، وتعتبر هذه الأخيرة مركز قطريهما، أي أنّها موجودة في منتصف الحلقتين، ويتراوح قطر السياج الخارجي " الكبير" ما بين 07 م و 13متر، أمّا السياج الداخلي "الصغير" فيتراوح قطره ما بين 05 و 10 أمتار، والملاحظ أنّ السياجين يتشكلان من حجارة متوسطة الحجم وموضوعة بطريقة منسجمة توحي بأنهما بنيا في نفس الفترة معا، ويكون

الفضاء أو المساحة ما بين السيّاجين في بعض المدافن من هذا النمّط مبلطا بشظايا حجرية تشبه ظهر السلحفاة) (Carapace de tortue، ونجد هذا الصنف في مقبرة جبل المراح وكلّ مقابر جبلي البرمة والفرطاس.

مصطبة ذات السياجين الدائريين المركزيتين.

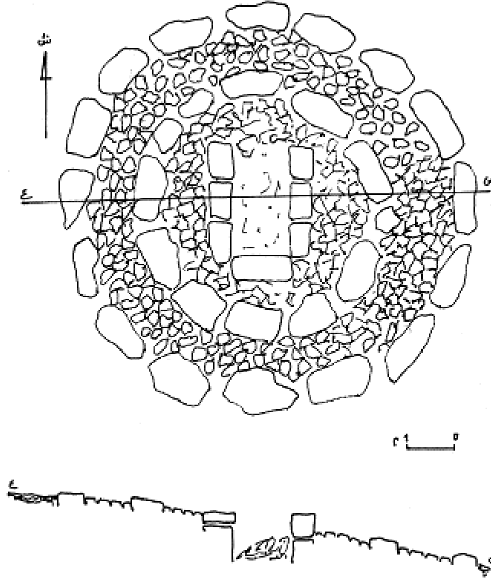


صورة لدولمن ذو السياجين الدائريين المركزيين.



مخطط ومقطع لدولمن بارز ذو السياجين الدائريين المركزيين.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267



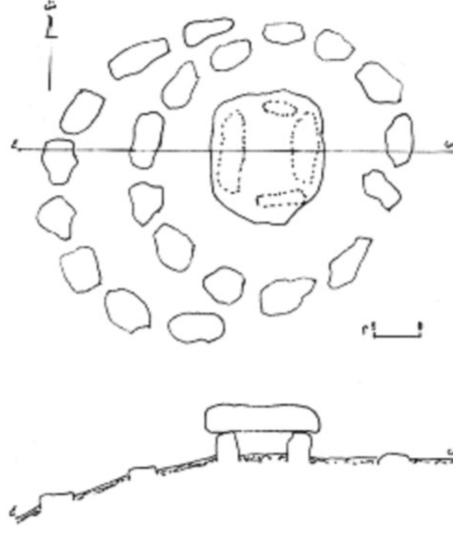
مخطط ومقطع لدولمن مندس ذو السياجين الحجريين المركزيين وتبليط على شكل ظهر السلحفاة.

– الدولمن ذات السياجين الدائريين اللامركزيين:

ويتوزع هذا النمط في المناطق ذات منحدرات متوسطة في مقبرة شنيور، وتكون غرفها مندسة أو بارزة جزئيا، ونجدها بأعداد معتبرة في مقبرة جبل المراح ورأس العين بومرزوق، ويتميز هذا النمّط بوجود سياجين حجرين لا مركزيين، ويكون السيّاج الأول الذّي يحيط مباشرة بالمصطبة ذو مركز يكون في وسط الغرفة الجنائزية، أمّا السياج الثاني الذّي يكون أكبر من الأول، وهو في الأصل نصف حلقة إذا ما فصلناه عن السياج الآخر، ويكون دائما من جهة المنحدر، مركزه مخالف لمركز السياج الأصغر.

ويتراوح قطر هذه الحلقات ما بين 04 م و10 أمتار، والجدير بالذّكر أنّ هذا النمّط يحتوي على مجموعة من الدولمن لا يتعد عددها العشرة معالم، تتميز عن الباقي بسياجها، حيث يحيط بكل دولمن سياجين دائريين لا مركزيين مدرجين، وتتميز هذه المجموعة بكونها من أضخم المعالم الجنائزية الموجودة بمقبرة شنيور، وتتواجد بصفة خاصة على المنحدرات الشديدة وبنيت في الفضاءات الجيرية المحضة، وتتكون غرفها الجنائزية من غرفة واحدة أو غرفتين مجاورتين، تبنى برصّ عدّة صفوف من الحجارة مرتكزة على قاعدة تحمي من الانهيار من جهة الانحدار

بواسطة الحجارة الضخمة الحجارة الضخمة المتراصة في صفين أو أكثر بين المدرجين، والملاحظ أنّ الفضاءات الداخلية للمصطبة تكون مغطاة بالشظايا الحجرية فقط.



مخطط ومقطع لدولمن بارز ذو السياجين اللامركزيين.

– الدولمن ذات السياج المستطيل أو المربع:

يوجد في مقبرة شنيور نوعا نادرا يتمثل في دولمن ذات سياج حجري مستطيل أو مربع، ومنه نموذجا بمشتة رمضاني وتعرض هذا المعلم للهدم، حيث انشقت مائدته إلى ثلاثة أقسام، وتتميز الحجارة المكونة للسياج في هذا النوع من الدولمن بكونها مهذبة وأحيانا منحوتة وموضوعة بطريقة تشكل مستطيلا أو مربعا حول المصطبة، ويعتبر هذا النمّط من الأنماط النّادرة في شمال إفريقيا، وهي موجودة بصفة استثنائية في مقبرة الركنية بنموذج واحد[1]، وعثر عليها بأعداد قليلة في كلّ من مقابر جبلي البرمة والفرطاس[1]. وتكمن خصائص هذا النمّط في وجود سياج حجري مستطيل الشكل يحيط بغرفة جنائزية لها نفس الخصائص التي تعرف بها الغرف الجنائزية بصفة عامّة وهي موجهة شرق غرب، يوجد في فضاء مسطح نوعا ما، ونجد هذا النمّط من القبور في المواقع المسطحة في كلّ من جبل المرّاح بوشن وسيلا ورأس العين بومرزوق)، ويعتبر هذا النمّط من الأنماط النّادرة في شمال إفريقيا، وهي

---

1 -Gsell (S.), 1901, Op.cit, T. I, p. 18.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

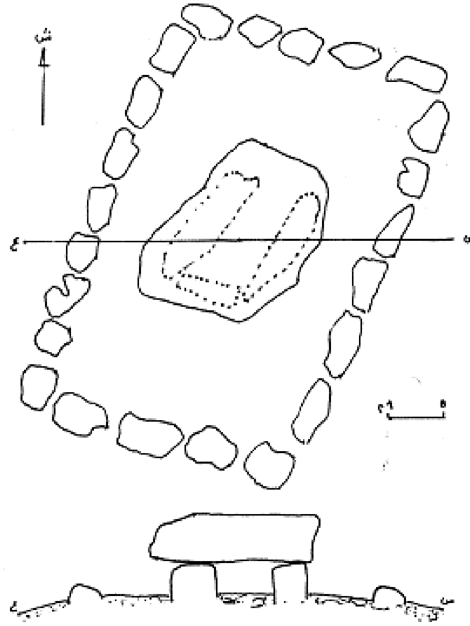
موجودة بصفة استثنائية في مقبرة الركنية بنموذج واحد[2]، وعثر عليها بأعداد قليلة في كلّ من مقابر جبلي البرمة والفرطاس[3]. وتكمن خصائص هذا النمّط في وجود سياج حجري مستطيل الشكل يحيط بغرفة جنائزية لها نفس الخصائص التي تعرف بها الغرف الجنائزية بصفة عامّة وهي موجهة شرق غرب، يوجد في فضاء مسطح نوعا ما، ونجد هذا النمّط من القبور في المواقع المسطحة في كلّ من جبل المرّاح بوشن وسيلا ورأس العين بومرزوق.



صورة تمثل نموذج لدولمن ذو سياج حجري مربع.

ويرى الضابط الفرنسي جاكو (Jacquot Lt.) في سياق حديثه عن هذا النمّط الموجود أيضا في مقبرة الركنية، أنّه ينتمي لإنسان نصف متحضر أو من أصل أوروبي[4]، ويبقى هذا الرأي مجرد تخمين دون قاعدة علمية، بل يخضع لنظرة استعمارية ضيقة، أمّا كامبس (Camps G.) فهو يرى بأنّ المصاطب ذات السياج الحجري المربع أو المستطيل هي من أصول صحراوية، لكن تأثيرها على المعالم الجنائزية لشمال إفريقيا غير شائع [5].

2- زرارقة مراد ، المرجع السابق، ص 73.
2 -Gsell (S.), 1901, Op.cit, T. I, p. 18.
2-مراد، 2006، المرجع السابق، ص 73.
4-Jacquot (Lt.), 1916-1917 ; La nécropole dolménique de Roknia ;R.S.A.C ;V.L pp. 207-218.
5-Camps (G.), 1961, Op.cit., p. 207.



مخطط و مقطع لدولمن ذو السياج المستطيل

– الدولمن المتعددة الغرف:

المقصود بهذا النمّط هو تجمع غرفتين جنائزيتين أو أكثر داخل سياج أو عدة سياجات حجرية، ولعلّ أحسن نموذج نجده بمرتفع الصواقع بمقبرة شنيور، وهو عبارة عن ثلاثة غرف جنائزية مجاورة لبعضها داخل سياج حجري دائري اختلطت حجارته ببعضها البعض حتى يصعب فرزها عن الغرف الجنائزية.

كما هناك نموذجين آخرين، أحدهما في القلعة وهو عبارة عن غرفة جنائزية مبنية في منتصف قطر السياج الحجري، وبنيت بعدها غرفة ثانية داخل نفس السياج، أمّا النموذج الثاني فهو موجود بمرتفع الصواقع، وهو عبارة عن غرفتين جنائزيتين متجاورتين تتقاسمان نفس الدعامة في الجهة الداخلية، ومحاطتين بسياج حجري دائري،

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

ويتواجد هذا الحجري المستطيل النمّط في مقبرة الركنية[1]، ومقبرة تيركبين بضواحي أم البواقي، وتعرف انتشار كبير في تونس في كل من مواقع أنفيدة وهنشير الحجار وماكثر والألاز وجبل قرّة ودوقة [2].



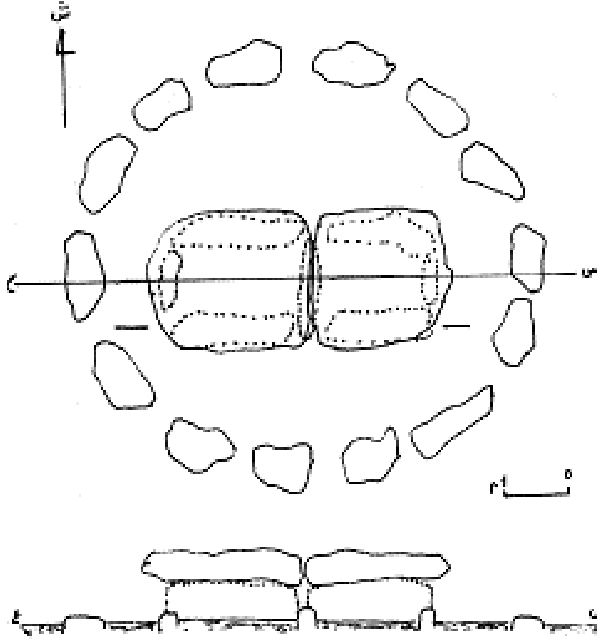
صورة لدولمن متعدد الغرف

يرى كامبس (Camps G.) أن تفسير وجود عدّة غرف جنائزية محاطة بنفس السياج راجع لكون الدولمن لحوض البحر الأبيض المتوسط صغيرة الحجم إذا ما قورنت بمصاطب شمال أوربا، وهي تستخدم بصفة عامّة للدفن الفردي عكس هذه الأخيرة.

غير أنّ العادات والطقوس الجنائزية الإفريقية القديمة تعتمد على الدفن الجماعي لنفس العرش أو العائلة الكبيرة [3]،وعليه يظهر أنّ النوميديين القدامى مزجوا بين الدفن الأحادي في المصطبة والتجمع العائلي والعروشي في حيز واحد الذّي يجمع عدة مصاطب، والحيز هذا هو عبارة عن السيّاج الحجري. ويرى برونو(Brunon G.) أنّ إحاطة عدّة مصاطب في نفس السياج يدفعنا للتساؤل حول طبيعة العلاقة الموجودة بين الأفراد المدفونين داخل

1-Bourguignat (J.R.), 1869, Histoire des Monuments mégalithiques de Roknia, Paris, T.I , Pl. I fig. I.
2-Carton (Dr), 1895, Nouvelles découvertes épigraphiques et archéologiques faites en Tunisie, extrait des mémoires de la soc. archéol. De Lille, Fig. 174.
3-Camps (G.), 1961, Op.cit., p. 139.

هذه المدافن، هل هي علاقة قرابة دفعت بالعائلة لإحاطة أفرادها بسياج واحد ؟ هذا دليل على قوة الروابط العائلية بموتاها[1].



مخطط ومقطع لدولمن متعددة الغرف

– الدولمن المدعمة بجدار:

هناك عدد لا بأس به من هذا النمّط في مقبرة شنيور، ويبقى أحسن نموذج تمثله مصطبة بمرتفع حض البسباس، حيث يفوق سمك المائدة 01 م وطولها 04 أمتار، وهي عبارة عن صخرة ضخمة منحوتة من جهتها الداخلية، وتتركز على دعامات تتكون من عدّة صفوف من الحجارة المهذبة والمتراصة بشكل متقن الواحدة فوق الأخرى في شكل أربعة صفوف عمودية وبنيت هذه المصطبة فوق ربوة عالية مطلّة على وادي شنيور من الناحية الشمالية الشرقية، وقد أحيطت بسياج حجري ضخم يدعمها، خاصة من جهة المنحدر لحماية المعلم من الانهيار يشبه شكل جدار مدعّم، ويوجد هذا النمّط بمقابر سيقوس وسيلا وبوشن بأم البواقي، ومقبرة الركنية بقالمة.

1-Brunon (G.), 1876, Notice sur les Dolmens et tumulus de l'Algérie, R.S.A.C,. P.334.

المجلد: 07؛ العدد: 01؛ 2018
ص 35 - 60

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267



صورة لدولمن مدعم بجدار.

يقول قزال في هذا الشأن " هناك بعض انماط من الدولمن تكون محفورة في الصخر، كما نجد حجارتها مرتبة بعناية وتشبه تلك التي نجدها في الآثار الرومانية[1]". وقد قام شابسيار (Chabassiére J.) سنة 1886 بحفرية على أحد هذه الأنماط في مقبرة سيقوس بأم البواقي، أين اكتشف سلما مبنيا من الحجارة يتكون من خمسة درجات تؤدي مباشرة إلى عمق الغرفة الجنائزية، وهذا أثناء نزع الحجارة المتراصة فوق الفضاء الفاصل بين السياج الدائري والغرفة الجنائزية، وهذا المنفذ المباشر يدلّ على إمكانية إعادة استعمال هذا النوع من المصاطب عدّة مرات[2]، كما عثر فروبينيوس على دولمن من هذا النمّط غير أنّ سياجها الحجري مربع الشكل وهذا في مقبرة سيلا بأم البواقي، ويقدر ضلعه بأربعة أمتار، ويشكل السياج من جهة المنحدر جدار من ستة صفوف من الحجارة المتراصة فوق بعضها البعض[3].

– الدولمن ذات البنية المتطورة:

تحتوي مقبرة شنيور على نوع خاص من الدولمن. حيث تتكون هذه الأخيرة من مائدة جنائزية على شكل بلاطات التي نجدها في أغلب انماط الدولمن، غير أن الدعـامات التي تحملـها من الحجر المنحـوت على الطريقـة

1- Gsell (S.), 1901, Op.cit, T.I, P.18.
2-Chabassière (J), 1886, Ruines et Dolmens du Djebel Fortas et de ses contreforts, R.S.A.C., T. XXIV, Pl XII, N°08.
3-Camps (G.), 1961, op.cit, p. 134, fig. 34.

الرومانية، حفرت عليها من الواجهة الداخلية رفوف أو كوات (توضع فوقها الجرار الجنائزية urnes cinéraires)، أما مدخل الغرفة فكان يغلق بسدادة حجرية تنزلق في الحزتين المحفوزتين في جانب المدخل ويجدر الإشارة لانعدام السياج هذه و يرى قزال أن هذه النوع من المصاطب يعود حتما للعهد الروماني و يوجد مثله في منطقة جيجل.[1]

وأريد الإشارة هنا، أنه خلال زيارتي لمنطقة شنيور، لم أجد إلا نموذجا واحدا لهذا النوع وذلك بجبل النقيب، غير أنه تعرض لعملية الهدم، و لست أدري إن كانت هناك نماذج أخرى لاقت نفس المصير، حيث لم أعثر على أثرها لحد الآن.



الصورة لدولمن متطور مهدم.



صورة لنفس الدولمن قبل هدمه عن Gsell (S)

خاتمة

1 -Gsell (S.) ; 1901,Op.Cit. p. 33.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

من خلال دراستنا الوصفية والتنميطية للمدافن الميغاليثية من نوع الدولمن بمقبرة وادي شنيور، تبين لنا أنّ اختيار الموقع لم يكن عشوائيا، بل مقصودا نظرا للإستراتيجية التي يتميز بها من الناحية الدفاعية الطبيعية، ومن حيث وفرة المياه والطبيعة الجيولوجية التي توفر المواد الأولية بسهولة لانجاز المعالم الجنائزية الضخمة، وقد مكنت هذه العوامل من استقرار السكان في عين المكان واستمرارية العيش في المنطقة عبر عدة عصور متعاقبة، وخير دليل على الاستمرار البشري والحضاري عبر العصور، تشهد عليه الآثار المتنوعة الموجودة في المقبرة وأنحائها، كالقلعة النوميدية التي تشبه لحد كبير القلعة النوميدية لموقع إيشوقان بالأوراس، وقلعة بوعطفان التي تضم بقايا أثرية ليبية بونية، رومانية وبيزنطية، إضافة الى القليع البيزنطي الذي بقيت آثاره شامخة تطل على كل أنحاء المنطقة.

وقد لفتت انتباهنا شساعة المقبرة وكثرة عدد معالمها الذي يتجاوز 4000 معلم والذي يدل حتما على كثافة سكانية معتبرة، وكذا على استمرارية طويلة في الدفن فيها عبر العصور، ومدى تمسك السكان بتقاليد أجدادهم مع إدخال بعض التقنيات الدخيلة الجديدة. حيث يظهر لنا هذا جليا من خلال امتزاج الثقافة الليبية والنوميدية القديمة بالثقافة البونية ثم الرومانية في استعمال تقنيات البناء المحلية والدخيلة في آن واحد، كما لاحظناه مثلا في بعض انماط الدولمن التي استعمل فيها الحجر المنحوت بالطريقة الرومانية كدعامات لمائدة المعلم.

ويبقى السؤال مطروحا فيما يتعلق الامر بتنوع انماط الدولمن في مقبرة شنيور، هل هو متعلق بالطبيعة الطوبوغرافية و الجيولوجية للموقع ؟ ام ان الامر يتعلق بوجود معتقدات و طقوس مختلفة لسكانها؟ ام ان المقبرة استعملت لفترات زمنية مختلفة و متعاقبة لمدة زمنية طويلة؟ و ماهو التأريخ المحدد الذي تعود اليه هذه المدافن؟

كما يصعب التعرض لمسألة التأريخ عندما يتعلق الأمر بفجر التاريخ المتميز بحدود زمنية غامضة، وعليه يجب الاهتمام بهذا الأمر بجدية وتوفير الإمكانيات العلمية والمادية اللازمة، وتشجيع البحث والتنقيب في هذا المجال حتى يتسنى للباحثين جمع قدر كبير من المعلومات تساعدهم لحل هذه الإشكالية. وإزالة الغموض عن هذه المرحلة وتصحيح الكثير من المعارف الخاطئة والتي لازالت شائعة ومتداولة بين الطلبة في هذا المجال وحتى بين الباحثين والأمثلة كثيرة، حيث نكتفي بذكر ما يشاع عن المقابر الميغاليثية في شمال إفريقيا وانتسابها بصفة مطلقة لفجر التاريخ، إذ شاع تسميتها بـ " مقابر فجر التاريخ "،حيث أنّ الزائر لبعض هذه المواقع على غرار مقبرة شنيور يلاحظ بعض الأمور تجعله يرتاب في انتسابها بصفة مطلقة لهذا العصر، والأمثلة كثيرة كما ذكرناها آنفا مثل استخدام الحجر المنحوت على الطريقة الرومانية كدعائم عمودية لموائد بعض الدولمن، وغيرها من الأمثلة تجعلنا



نبحث في مفهوم فجر التاريخ ومدى تمسك أجدادنا بطقوسهم وتقاليدهم عبر الأزمنة الغابرة رغم التأثيرات الثقافية الدخيلة التي تبنوها مع مرور الوقت .

وأخيرا الأمر الأكيد، هو أنّ الحفريات التي يجب أن تجرى مستقبلا في مقبرة شنيور وبأرجائها ستمدنا حتما بمعلومات قيمة وهي وحدها كفيلة بإيجاد الأجوبة الشافية لكل تساؤلاتنا خاصة فيما يتعلق بحتمية وجود هيئات سكنية معاصرة لتلك المعالم في المنطقة والتي بقيت تشكل لغزا حقيقيا لحد الآن نظرا لشح المعلومات في هذا الموضوع بالذات.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

قائمة البيبلوغرافيا:

1–المراجع:

أ–باللغة العربية:

–توينبي أرنولد،1981، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الجزء الأول.

ب–باللغة الفرنسية:

-Carte topographique 1/200.000, Annaba, F. NJ-32-II. Dressé en 1963.

-Camps (G.), 1961, Aux origines de la Berbèrie ;Rites et monuments funéraires de l'Afrique du Nord ;A.M.G ;Paris .

-Gsell (S.),1922 ;Les inscriptions latines de l'Algérie N° 561,P.60.;Inscriptions de la Proconsulaire ;Paris.

-De vigneral (Ch.) ; 1867, Ruines romaines de l'Algérie, cercle de Guelma, subdivision de Bone, Paris ..

-R**eboud (V.)** ; 1881, Nécropole mégalithique des sources de l'Oued Cheniour (Moulin dubourg), affluent de l'Oued Cherf ou Seybousse superieure, A.F.A.S. Alger.

-Gsell (S.), 1901, Les monuments antiques de l'Algérie, T. I.

-Mougel Abbé, 1881, 4 Km de promenade archéologique sur la rive droite de Pachtere , (F.G.) ,1909, Musées et collection archéologique de l'Algérie et de la Tunisie, musée de Guelma , Paris , p. 39.

- Mennetrier (Lt.), 1908, Notes sur des monuments mégalithiques de la province de Constantine, cong. Préhist. De France, IV e session, Chambéry.

-André (Ph), 1861, Notice sur les monuments celtiques de la province d'Alger, Mémoire de la Société Archéologique, d'Lille et Vilaine.

-Briard (J,) 1959, l'Age de bronze, P.U.F, Paris.

-Jacquot (Lt.), 1916-1917 ; La nécropole dolménique de Roknia ;R.S.A.C ;V.L.

-Bourguignat (J.R.), 1869, Histoire des Monuments mégalithiques de Roknia, Paris, T.I , Pl. I fig. I.

-Carton (Dr), 1895, Nouvelles découvertes épigraphiques et archéologiques faites en Tunisie, extrait des mémoires de la soc. archéol. De Lille, Fig. 174.

-Brunon (G.), 1876, Notice sur les Dolmens et tumulus de l'Algérie, R.S.A.C.

-Chabassière (J), 1886, Ruines et Dolmens du Djebel Fortas et de ses contreforts, R.S.A.C., T. XXIV, Pl XII, N°08.

أ–الرسائل:

-زرارقة مراد، 2006، المعالم الجنائزية الميغاليثية لمنطقتي البرمة وجبل الفرطاس (جنوب قسنطينة)، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار،جامعة الجزائر.